ستيف سابيلا: القدس في المنفى و«أورشليم» ليست من ذهب!

نجوان درويش *

■ مرّت عشرون سنة على الانتفاضة هذا الشهر.. وإن كان هذا يدعو للتفكير في الإنتاج الفني الذي تم تقديمه عن الانتفاضة في مجال الفن البصري ومستوى هذا الإنتاج، فإنه من جهة أخرى يدعو لقراءة أعمال الجيل الجديد من الفنانين الذين تكونوا بعد الانتفاضة الأولى (1987) في فلسطين.

ستيف سابيلا (من مواليد القدس عام 1975) أحد هؤلاء، وهو وإن كان قد نشأ في سنوات الانتفاضة، إلا أن إنتاجه الفني وأول معارضه جاء في مرحلة مختلفة بل ومعاكسة، ألا وهي مرحلة ما بعد أوسلو.

منذ معرضه الفوتوغرافي الأول «بَحْث» (1997) والثاني «هوية» (2001)، بدا سابيلا مشغولاً بفكرة الهوية والبحث عنها في زِمن الاستلاب و«الأسرلة» التي تعرّض لها جيل من الفلسطينيين الذين ولدوا تحت الاحتلال -وخصوصاً في القدس- وعاشوا عند حافة «الزمن الإسرائيلي» الذي لم تُدرس بعد تأثيراته السوسيولوجية والنفسية على المجتمع الفلسطيني- بل ويفضّل التيار العام تجاهلها!

ولعل الفولكلور الشعاراتي أعفانا لفترة طويلة من النظر إلى المرآة وملاحظة الشروخ التي أصابت الهوية، فالهوية الفلسطينية في القدس وبقية فلسطين المحتلة ليست البكر المصون كما أخبرنا الشعراء الغنائيون!

في السنوات الخمس الأخيرة، وصل ستيف إلى تحولين في أعماله، الأول على مستوى المضمون. إذ ظهر الموضوع الجمعي أو الوطني في أعماله... وبدا كأنّه خرج من ذاتية أعماله الأولى. ولا شك في أنّ ذلك يرتبط بتطور وعيه السياسي، بعدما دفعته أعماله الذاتية لأن يكون جزءاً من المشهد الفنّي الفلسطيني.

في «حتى النهاية... روح المكان» (2004)، جمع أحجاراً من مناطق القدس، يشعر بأنّها مناطقه الشخصية. ثم التقط صوراً من تلك الأماكن، وقام بتظهير الصور على الأحجار التي عرضها مرفوعة (مصلوبة؟) على قضبان حديدية. بعدها قدّم مشروعاً بعنوان «كان ياما كان» (2005)، يستلهم فكرة «صندوق العجب»: خمسة صناديق مستطيلة في كل منها عرض صوراً تروي حكاية محددة، على المتلقي أن ينظر إليها من الثقب. وكي يؤكد البعد الشعبي والجمعي لصناديقه، طلب الفنان من خمسة تشكيليين مختلفين أن يرسموا الحكاية على سطح الصندوق.

أما التحوّل الآخر فكان فنياً. إذ راحِ يتجاوز نفسه ويخرج من دور «المصور الفوتوغرافي»، ليتّجه في أعماله أخيراً نحو «فن مفهومي» conceptual art تمثّل فيه الفوتوغرافيا وسيطاً لتنفيذ الفكرة. هكذا، لم تعد الفوتوغرافيا إلا وسيطاً كما لاحظنا في عمله Exit (مخرج- 2006). قدّم سابيلا في «مَخْرج» سلسلة صور تظهر أيدي مسنّة (التقطها في مستشفى في ايرلندا)، عُرضت عبر «البروجيكتر» على جدار أبيض في الليل. بدت تجليات الأيدي مثل منحوتات من شغل الزمن، ووثائق لها إحالات اجتماعية وطبقية. وهو عمل صادم وقاس يخرج على الشغل الجمالي الذي وسم عمله منذ البداية. في عمله الأخير «منتالوبيا» Mentalopia، يبتكر سابيلا مفردة جديدة، اسماً لعمله الذي يتكوّن من بورتريهات فوتوغرافية لمجموعة من أقرانه الفنانين من بلدان مختلفة. كلمة منتالوبيا بخلاف يوتو- التي اشتُقت منها- تتشاكل مع المفهوم المكاني لليوتوبيا، وتراهن على الحالة الذهنية بوصفها اليوتوبيا الوحيدة الممكنة ربما... في الفن على الأقل.

مزج سابيلا البورتريهات التي التقطها لمجموعة فنانين حول العالم، بطوابع بريدية كأنما يتبادلون عليها بلدانهم. هكذا، نرى الفنانة اللبنانية لميا جريج على طابع بريدي فلسطيني يحمل صورة القدس، فيما نشاهد ستيف نفسه على طابع لبناني. أما بقية الفنانين فقد مزج طوابعهم بشكل عرضي تارةً، وبشكل ينطوي على مقاصد تارة اخرى: وإذا بالفنانة التركية تجد نفسها على طابع أرمني، فيما الفنان الأرمني وجد نفسه على طابع أذربيجاني، وهكذا دواليك... إنها فكرة ارتجاج الهوية، من خلال التلاعب بسكونها الذي تمثله الطوابع البريدية. هنا، يبدو الطابع- الذي هو أصلاً تمجيد لمكونات الهوية- سؤالاً لعوباً وجارحاً عن الهوية والتجاور والحوار. والأفكار هي حصاد ورشة احتضنتها في إسطنبول بعنوان «جيران في حوار»، وشارك فيها 10 فنانين من دول متجاورة، أنتج كل منهم عملاً خلال إقامته التركيّة. وهذه الأعمال ستُقدّم إلى «متحف سراييفو للفن الحديث» هذا الشهر، حيث سيعرض سابيلا مشروعه «منتالوبيا» مع أعمال الفنانين الآخرين.

يجمع «منتالوبيا» المستويين البصري والمفهومي. فالحلة البصرية/ التقنية للفكرة متماسكة التكوين، بخلاف الكثير من النتاج «المفهومي» conceptual الذي يستسلم هذه الأيام للسهولة والركاكة، ويرتجل «صرعات» غير موظفة فنياً، فضلاً عن الضعف التقني في التنفيذ. الشغل على الطوابع البريدية، هو بحد ذاته مقاربة نقدية لأحد مظاهر الفولكلور في زمن العولمة والبريد الإلكتروني، مقاربة تخلق مجالاً لتوليد أسئلة عن الهوية والحدود والسلطة والهيمنة والزمن. وإذا تذكرنا أن «الإمبراطورية البريطانية» كانت وراء إصدار أول طابع عام 1840، فسنفهم تلك العلاقة الخفية بالتاريخ التي جعلت سابيلا يتطرّق ضمناً إلى فكرة الكولونيالية من خلال طابع البريد.

والمشروع الذي يستمد نسغه من الطوباوية الذهنية، يطرح أيضاً أسئلة الراهن الفلسطيني، والتشوّق الطبيعي للوحدة والتكامل مع بقية الجسد العربي. وهي هنا أسئلة طبيعية يطرحها فنان خارج الإيديولوجيا، وبعيد كل البعد عن الشعارات. فوضعه مثلاً صورة لفنانة لبنانية على طابع للقدس، يشي بحال التفاؤل التي سادت الشارع الفلسطيني أثناء صد المقاومة اللبنانية للعدوان الإسرائيلي الصيف الماضي. وكذلك الأمر مع وضعه لصورته الشخصية على طابع لبناني عن «مباراة بطولة البريدج» يعود إلى عام 1965. لكنّ سابيلا تلاعب في تاريخ الطابع، إذ حوله في السطر المكتوب بالعربية إلى 1975 أي تاريخ ميلاده هو، بينما حافظ على السطر الأعلى بالفرنسية الذي يشير إلى تاريخ الطابع الأصلي.

قبل سفره إلى اسطنبول، تجوّل سابيلا في القدس محاولاً العثور على موضوع عمل فني يستلهم فكرة «جيران في حوار» من خلال تاريخ القدس. أي جيران وأي حوار.. سأل نفسه مراراً وسأل من حوله. أبرز الاقتراحات التي قُدّمت له هي أن يشتغل على الموروث العثماني في القدس المليئة بآثار تلك «الجيرة» الإشكالية.. القريبة جداً والنائية في ذات اللحظة. فالمواد الخام كالآثار المعمارية العثمانية التي تملأ القدس أو حتى تلك الوفرة من المخطوطات باللغة العثمانية في مكتباتها وأطلال العلاقة بين القدس واسطنبول، جميعها تغري فناناً من القدس باستثمارها في عمل فني. أو هذا على الأقل كان رأي فنان شغوف بالتاريخ الحضاري لمدينة القدس مثل كمال بلاطه. ولكن سابيلا بعد أن حاول تناول فكرة الاشتغال على أثر مشترك بين القدس واسطنبول، وبعد أن فكّر بأشياء مثل العمل على بوابتين واحدة في القدس وأخرى في إسطنبول صممهما معماري واحد هو «سنان باشا». وصل في النهاية إلى نتيجة مفادها أن لا علاقة ذاتية تربطه بالموضوع، وأن تجربته الشخصية لا تغذّي اختياره للموضوع، الذي قد يكون جذاباً من الناحية الثقافية، لكنه لم يمس ستيف شخصياً وبالتالي لا سبيل لمقاربته في عمل فني.. وسرعان ما بدأت أسئلته الذاتية، التي تبرز نزوعه المثالي الحالم، في الظهور وسرعان ما أوصلته إلى «منتالوبيا».

Mentalopia جاء ليعكس أحد الأسئلة الأثيرة لدى هذا الفنان، ألا وهو سؤال الهوية القلقة.

القدس في المنفى

لكنّ «إشكاليته» الكبرى تبقى مدينته القدس التي غادرها إلى لندن مؤخراً لإكمال دراسته الأكاديمية، أو لأنّه وصل إلى شعور بأنّ «مدّة صلاحيته» انتهت في هذه المدينة التي أقنعنا أنّها الآن في المنفى! «القدس في المنفى» فكرة مشروع جديد يعمل عليه سابيلا، بالتعاون مع كاتب هذه السطور، تُسقط مفهوم المنفى على المكان، وتذهب إلى تقصّي «صورة القدس» في المخيلة الفلسطينية والعربية أيضاً. يطلب «القدس في المنفى» من جميع مَن يمنعهم الاحتلال من بلوغ القدس، أن يسجلوا أول صورة تَتبادر إلى أذهانهم عند ذكرها، ويرسلوها بالبريد الالكتروني إلى موقع المشروع (www.jerusalem-in-exile.net).

وسيحوّل سابيلا الوصف إلى صور فوتوغرافية. ومن المفترض أن تمثّل التجربة نواة مشروع مستمر لدراسة صورة القدس. تلك الصورة الإشكالية المحمّلة برمزيات الجغرافيا المقدسة كلّها، وبحيوات ضائعة وزفرات منطقة بأسرها... صورة القدس المحملة أيضاً وأيضاً بفولكلور هائل من الخطابة والشعارات، فيما الاحتلال يوغل في هوسه بالاستحواذ عليها، شبيهاً بجرذ ضخم يقضم أصابع طفلة نائمة، وهو يغني لها بصوت عال «أورشليم من ذهب»!

موقع القدس في المنفى:
www.jerusalem-in-exile.net

* شاعر من فلسطين

«القدس في المنفى».. مشروع فني يدافع عن الصورة العربية للمدينة..

مشهد من القدس القديمة ، ستيف سابيلا

□ الوطن

«القدس في المنفى- ذكريات مُجسّدة» مشروع فني مميز لفت الانتباه منذ إطلاقه عام ٢٠٠٦، فهو من جهة مشروع فني عربي عن القدس المحتلة من قبل مبدعين فلسطينيين موجودين داخل القدس، يواجهون من خلاله عشرات المشاريع الدعائية الإسرائيلية، عن المدينة المحتلة التي تحاول نفي الهوية العربية عن القدس، ومن جهة أخرى هو مشروع جماعي يتوجه إلى الأفراد الفلسطينيين(والعرب أيضاً) عبر العالم، ليرسلوا صورهم الذهنية لمدينة القدس، حتى يتم نشرها على الموقع الالكتروني –وهو موقع اطلق بخمس لغات عالمية– ليتم فيما بعد تحويلها إلى صور فوتوغرافية فنية. وكون المشروع يجري على شبكة الانترنت بخمس لغات هي العربية والاسبانية والانجليزية والفرنسية والألمانية www.jerusalem-in-exile.net فإن ذلك يتيح نقل صورة القدس العربية إلى العالم الذي يتعرض لضخ إعلامي كبير يستعمل الفنون لإظهار صورة القدس كـ«مدينة إسرائيلية»!

الصور في أذهان الناس ستتحول إلى لوحات فوتوغرافية على يد ستيف سابيلا الذي يعد من أبرز الفنانين الفوتوغرافيين الفلسطينيين. وبعد ذلك ستكون بحسب سابيلا «جزءاً من معرض عالمي حول صورة القدس، وسيتم جمعها في كتاب فني وربما عدة منشورات...لكن ما يهمنا الآن هو أن نتلقى مشاركات من كل إنسان لا يستطيع وصول القدس لأنها محتلة».

فكرة مشروع «القدس في المنفى» جاءت من الفنان ستيف سابيلا ويقوم بتنفيذه مع الشاعر نجوان درويش، والمشروع يثير الأسئلة حول«صورة القدس»، ويسعى لأن يكون بؤرة تبادل أفكار وتواصل بين الفلسطينيين في الشتات حول صورة القدس ورمزيتها. الذي ينطلق من مساهمة الفن في تطوير رؤى وأفكار بصرية حول موضوع القدس وصورتها.

فكرة «القدس في المنفى» تسقط مفهوم المنفى على المكان، وعليه فالقدس بحسب هذا المشروع «مدينة منفية»، مثلها مثل أهل العرب والفلسطينيين الممنوعين من الوصول إليها. وبما أن الفن اليوم صار مرتبطاً بالمفاهيم والبحث، فمشروع القدس يهدف إلى «فحص صورة القدس الرمزية وإخراجها من بلادة الشعار إلى ديناميكية الحياة وأسئلة الفن، لتجديد هذه الصورة وشحنها بعناصر ممانعة لا تطويها التحولات التي يتم فرضها على أرض الواقع».

يتوجه المشروع بالدعوة للأفراد الفلسطينيين أينما كانوا،سواء في الشتات أو في الوطن، من الذين لا يستطيعون الوصول إلى القدس، للمشاركة عبر إرسال وصفهم لصورة القدس في مخيّلاتهم، ليتم تجسيدها في أعمال فنية فوتوغرافية. اما ما هي الصورة الذهنية فهي «أول صورة تخطر في مخيلة الإنسان بمجرد ذكر اسم القدس، بناء على تجربته الشخصية». من جهته يقول الشاعر نجوان درويش أن المشروع «رغم كونه بحثاً في العلاقة البصرية مع مدينة القدس ومنطلقاته الفنية بالأساس، إلا أنه واع تماماً لدوره كفن في فترة تحرر وطني، وعليه فإنه يسعى لخلق تواصل بين الفلسطينيين في الشتات بأجيالهم المختلفة مع القدس، وما تشكلّه من معنى وطني وإنساني يجمع الفلسطينيين حوله».

يذكر أن المشروع قد نشر على موقعه الالكتروني مجموعة كبيرة من المشاركات التي تلقاها باللغتين العربية والإنجليزية، أرسلها فلسطينيون وعرب من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا والأردن وفلسطين والبحرين والمغرب.. وقراءة هذه المشاركات تشبه السفر في صورة القدس ،وأشواق أهلها المنفيين ، في لحظة تاريخية هي ربما الأصعب التي تمر بهاالمدينة المحتلة .

موقع مشروع القدس في المنفى:
www.jerusalem-in-exile.net

ستيف سابيلا.. خيط متين من الضوء

تشكل الذاكرة والمخيّلة والمكان ،ثلاثة مستويات من العناصر الأساسية المتضافرة والمكوّنة، لأعمال ستيف سابيلا الفنّية في الفوتوغراف والتشكيل، يبدو هذا واضحا عند النظر إلى أعماله السابقة التي قدمها في ستة معارض فردية منذ النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي حتى الآن.

تظهر هذه العناصر الثلاثة في أعماله، باستعمال تقنيات فوتوغرافية مختلفة كعلب الضوء والحجارة والصناديق الخشبية، واستعمال الصور الذهنية كمادة، وأيضاً من خلال الجسد نفسه.

تشكل مدينة القدس، التي ولد ستيف في بلدتها القديمة، تجسيداً حياً للعناصر الثلاثة المذكورة، وإن لم تظهر بشكل مباشر في أعماله الفنية– خصوصاً أعماله الأولى. لكن المتابع لمسار ستيف وتوالي مشاريعه الفنية، يلحظ أن القدس تجمع أعماله مثل خيط متين من الضوء.

القدس– بحكم رمزيتها الفائقة– موضوع فنّي صعب، يضع أي فنان أمام تحديات ومزالق فنيّة، ليس أقلها السقوط في «الكليشهات والكيتش». وقد استطاع ستيف بشكل استثنائي التحرر من هذه المزالق، ليعثر على «قدس بإمكانه أن يتنفّس فيها هواء نقياً» كما كتب الفنان كمال بلاطه حين تناول تجربة ستيف .

هذا الخيط الذي بدأ يتّضح في معرض «حتى النهاية– روح المكان»٢٠٠٤، الذي قدّم فيه صوراً من القدس «حمضها» فوق حجارة حملها من أماكن شخصية وحميمة لديه، في محاولة منه للامساك بذاكرة المكان، والتحولات التي تجري عليها وتتهددها. أما في عمله «كان ياما كان» –الذي نفّذه بروح جماعية مع فنانين آخرين– فنلحظ نقلة فارقة في مسار ستيف؛ تتمثل في إقباله على موضوع جمعي بمعالجة مباشرة. وقد اتسعت مع هذا الموضوع رؤيته الفنية وصارت أكثر تماسكاً، وتطورت معالجته لمفهوم الذاكرة.

في المشروع الفنّي الأخير«القدس في المنفى – ذكريات مجسدة» نجد الذاكرة والمخيلة والمكان في مساحة أكثر ديناميكية؛ ألا وهي مخيلة الناس– الذين يعتمد المشروع على مشاركتهم في تكوينه. وبالإمكان القول أن المشاريع الفنية السابقة التي قدمها ستيف، تبدو كما لو انها تحضيراً وتأسيساً لـ«القدس في المنفى».

ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟

صعب صعب يا صديقي!

■ صديقي نجوان، في حزيران من عام ١٩٩٧، ركبت في سيارة مرسيدس أجرة من نابلس متجهاً إلى رام الله لاركب أخرى من نفس النوع منطلقة إلى القدس عبر طريق حزمة –عناتا، اي الطريق الإلتفافي عن حاجز الرام آن ذاك وبكلمة أصح (القدس علي اللفة) وبكلمة أدق أكثر(تهريب)، وفي كل مرة كنت ارتكب فيها هذه المغامرة ، كنت لا أستطع النوم في الليلة التي قبلها وأنا عادة لا أستطيع النوم وأنا في حالة سفر، وبكلمة أدق أنا كائن ليلي قلق ولا أنام بسرعة.

وإذ بالسيارة قطعت بلدة حزمة ومتجهة نحو «عناتا» لأتفاجأ أنا والركاب بطابور من السيارات يقف وينتظر دوره للتفتيش يعني (حاجز عسكري) وبكلمة أدق (حاجز طيَّار)، فلم يكن بوسعي في هذه اللحظة سوى النزول من السيارة والرجوع لأني لا أملك التصريح اللازم لدخول المدينة، وفعلاً نزلت من السيارة واردت الذهاب على الإتجاه الآخر من الشارع لأنتظر سيارة آتية من الجهة الأخرى ولكن وقوف بعض الجنود على مستوى النظر الذي سأقف عنده منعني من ذلك، واضطررت أن أجلس عند بعض الصخور الكبيرة الموجودة على جانب الطريق لأنتظر على الاقل ذهاب الجنود لأتمكن من الدخول إلى القدس أو الرجوع إلى رام الله، وحينها سرقني النوم ونمت بسرعة واستيقظت بعد ساعة ونصف الساعة من حرارة الشمس الشديدة على رأسي، وكانوا حينها قد انصرفوا هم وحاجزهم (الوهمي) وأخذت أول سيارة ذاهبة إلى القدس، وعند باب العامود هممت بالنزول من السيارة، وفي تلك اللحظة مثل كل مرة كدت أن أسقط وكأني لا أستطيع الوقوف ،على أرجلي وهذا من جراء (الشمس) التي ضربتني وأنا نائم، وبكلمة أدق يقولون (أكل ضربة شمس)، والآن تسألني يا صديقي الشاعر ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟ صعب صعب يا صديقي .

إنتظر إنتظر، تذكرت، الصورة هو أني إلى هذه اللحظة كلما يخطر ببالي هذه المدينة، او آتى أنا على بالها أحاول أن أتذكر من كان يضربني كلما وصلت إلى هناك.

هاني زعرب
باريس ٢٠٠٧

■ «صورة القدس» لدى الفنان هاني زعرب كما أرسلها لـ«القدس في المنفى».

لا خيل على الطرقات ولا مخدة في الهواء

محمود ابو الهيجا

خرج الظل على طينه
انكسر الطينُ
ثلاثُ باكياتٍ من الكلام المر يجلسن الليلة على صدره
أمةُ وقد تجمعت ثانيةً في طيف من خبب
كليمتهُ نجمة الصبح و خطيئته الساحرة
ثلاثُ طعناتٍ غائرة
والدمع قتلٌ وحنين

لا تصدق ما قاله السفر واسكب ما تيسر من ماء الفرد
على لغة النواميس، ذوب حيلتها، الحرب ليست أنثى، السكوت
ليس من ذهب
الوطنُ طرقٌ وطنينٌ
ما من مدىً في هذا المدى
حجرٌ تاه في السدى
والفتى طيفٌ وكمين

قلنا قالت «عناةٌ» وبعل يزرع في اسرة الرعاة وردتها
قلنا بانت «سعاد» وبان الشرق غيمة في ضحكتها
قلنا قال الرواة والنص سجنٌ وسجين

خرج الظل على طينه
انكسر الطينُ

ما من خيلٍ على هذه الطرقات
حفريات من الندم
غبار من صيحة الخليفة
الكوفة ثانية يا علي
الكوفة بالرجز على دبابات الغزاة
وما من برد هذه المرة ولا صيف ..!!
الكوفة وما من رمح ولا سيف
والفرات يقال ويحكى
سرداب الغيبة يخرج كأنه حائط مبكى
بردى ذكريات لقاسيون ينسى

والنيل لحسرة المتنبي
نامت نواطيرها والثعالب نصٌ هجين

الكوفة يا على
ابن عباس من جهة
والمختار الثقفي

لا تصدق ما قاله اليقينُ
واخرج حتى على الحب مثلما خرج الظل على طينك
اكسر زينة العرش
طينك جرحك
الموت متنٌ والحياة هامشٌ مكين

عــــدنـــــا
نعود ثانيةً أدراجنا

كيف نعود ..؟؟
من أين وإلى أين وحتى أين ..؟؟
اختلط الأمر على حاله
تشابكت الصلوات على النبي
وباسم القدير العلي

اسمك هناك يقتلك
وأخوك هنا قاتل امينُ ...!!

لم يكن للرمل غير الرمل
لم يكن له يوماً طعم الحل
لكنهم ألبسوه وزينوه وعلموه اغنية ان الرمل هو الكل

نثروه بين الكلمات،
ثقفوه كحوار
علقوه كشاشا ت في المقاهي
كمزهريات في البيوت
ثم اعطوه مسك الختام
قبل الصلاة وبعد السكوت

والرمل هو الرمل
صحراء اذا ما زاد وغيب اذا ما قل

ثلاث باكيات وقلبي رابع حزنٌ
صدقت فتكسرت
كذبت فتكسرت ايضا
اقتربت فابتعدت
وفي البعيد رأيت القرب كأنه مني فتبعثرت
روحي بين يديه
وجسدي بين يدي شغبٌ وأنينٌ

لن تكون غير ما كانوا
حفاة على السياج
عشاقاً في الحضرة والعشق طيفٌ في ليله رهينٌ
لكن ما من دراهم للقدرة
ما من مريدين ولا مخدة في الهواء
والبكاء لم يعد هو البكاء
اجمل الحروب التي تموت سريعاً
غير اني لا أعرف الطريق
والخطو غائبٌ ظنينٌ
خرج الظل على طينه
انكسر الطين

اللوحة للفنان تيسير بركات.

ملاحظات أولى

صبا الحَرْز: الآخـــرون

عادل الأسطة

لا أدري مدى إلمام قراء الأرض المحتلة بالأدب السعودي المعاصر، ربما عرفنا أحمد ابو دهمان من خلال روايته الحِزام (٢٠٠٠ بالفرنسية)، ٢٠٠١ بالعربية عن دار الساقي، لأنها نشرت في كتاب في جريدة في شباط من العام ٢٠٠٦، ولم تجد، من النقاد، صدى، اذ لم يأت عليها، في حدود ما قرأت، سوى الشاعر علي الخليلي في مقالة عابرة نشرها في «الأيام». وسيكون حظ رجاء الصانع أفضل، اذ أعيد نشر روايتها «بنات الرياض» (٢٠٠٦) التي خصصتها أنا بمقالة طويلة، نشرتها في «الأيام» أيضاً، ودرستها مرتين في مساق المدخل الى تذوق النص الأدبي في قسم اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية، وسيكون حظ زينب حفني مثل حظ الصانع، فقد أعيدت طباعة روايتها «ملامح» (٢٠٠٦) في فلسطين، وأنجزت أيضاً مراجعة لها.

طبعاً يجب ألا ننسى ان أسماء نقدية، مثل عبد الله الغذامي وسعد البازعي وميجان الرويلي، تبدو معروفة للدارسين والباحثين والنقاد، من خلال كتاب الأول: «الخطيئة والتكفير» وكتاب الثاني والثالث: «دليل الناقد الأدبي». وربما اطلعنا على أسماء نقدية من خلال وصول أعداد من مجلتي «علامات» و«جذور» إلى الأرض المحتلة، وإن كان وصولهما متقطعاً وغير منتظم.

في أيار من العام المنصرم ٢٠٠٧ كنت أتصفح عناوين كتب وروايات لصاحب كشك في عمان/ الأردن، وتعرف إليّ صاحبه ونصحني بأن أقرأ رواية الروائية السعودية صبا الحرز: «الآخرون» (٢٠٠٦) التي صدرت أيضاً، مثل روايتي الصانع وحفني، في لندن عن دار الساقي. لم آخذ بنصيحة صاحب الكشك، ولم أقتن الرواية، وهكذا لم أقرأها، لأشعر بعد ذلك بالندم، فقد راودتني فكرة أن أدرس الرواية السعودية في مساق «موضوع خاص في الأدب الحديث»، غير أنني تراجعت لأسباب أهمها عدم توفر نصوص روائية سعودية كافية، وعدم اطلاعي، شخصياً، بما فيه الكفاية على الرواية السعودية.

في ٢٠٠٧/١٢/٣٠ زرت رام الله، وزرت مكتبة الشروق ورأيت نسخاً من رواية «الآخرون»، فاقتنيتها، وأنفقت اليومين الأخيرين من العام المنصرم، واليوم الاول من العام الجديد، في قراءة الرواية، وقد قررت ألا ادرسها، لأنها، ورواية زينب حفني: «ملامح»، من النصوص التي قد تسبب اشكالاً في بيئة محافظة، مثل نابلس، وفي زمن يقوى فيه علي كثيرون، لأنهم لا يقوون على الاحتلال الاسرائيلي، وعلى التخلص منه وتحرير الأرض، وهذا ما يستطيعون القيام به معي، اذ قد يطردونني من الجنة، فأكون آدم الثاني، ثم ان الطالبات في قسم اللغة العربية خلوقات ومهذبات وقد لا يستطعن قراءة رواية جريئة الى حد بعيد، لأنها تخوض في المحرمات. وسأظل أتذكر أنني حاولت في العام ١٩٨٣ ان ادرس رواية الطيب صالح «موسم الهجرة الى الشمال» لطلبة السنة الأولى، ففوجئت بثورة، اذ قال احد أولياء احدى الطالبات انني لا ادرس الطلاب الادب في كلية الاداب، بل ادرسهم قلة الادب.

رواية صبا الحرز «الآخرون» رواية جريئة وممتعة، ويخوض كثيرون منا، فيما تخوض فيه ساردتها، ولكن في السر، لا في العلن. والرواية سردت بضمير الأنا - اي عبر اسلوب الترجمة الذاتية، ومع ذلك لا استطيع ان اقول انها رواية سيرية، لأنني شخصياً لا أعرف شيئاً عن كاتبتها، وبالتالي فإن المقاربة التي تقوم على اساس الربط بين الكاتب وبطله تبدو من طرفي غير ممكنة.

ولأن الساردة شابة شيعية لا تتجاوز الثانية والعشرين من العمر، فقد يتساءل القارئ ان كانت ثقافتها تتناسب وسنها، ما يجعل القارئ يذهب الى التساؤل: ما مقدار ما كانت تنطق به الشخصية، ومقدار ما كانت الكاتبة تسقطه على ساردتها/ بطلتها؟ هل كل ما نطقت به الساردة صدر عنها ام انه كان يصدر ايضاً عن المؤلفة نفسها، بخاصة في الجانب اللغوي والثقافي والفلسفي أحياناً؟ هل هناك شابات في سن الثانية والعشرين قادرات على النطق بما نطقت به الساردة؟.

لعل ما يجعل القارئ يطمئن إلى أنه كلام البطلة، لا كلام المؤلفة، أن البطلة طالبة جامعية ولها محاولات كتابية، بل إنها تسهم في إصدار مجلة. وبالتالي فلا يستغرب ان تكون قرأت لـ (جان بول سارتر) و (ميلان كونديرا) و (باتريك سوسكيند) وغيرهم من الكتاب الذين غدوا معروفين جيداً للقراء العرب، ذلك أنهم ترجموا إلى العربية وانتشرت كتبهم في العواصم والهوامش. ولعل التناص في هذه الرواية، وفي رواية رجاء الصانع، يستحق أن يخاض فيه، لا في مقال سريع وعابر، بل في كتابة أطروحة جامعية، ولا شك أنها ستنجز في الأعوام القادمة.

وربما تساءل القارئ، ابتداء، من هم الآخرون، ولماذا اختار الناشر ان يجعل لون المفردة الأحمر، واسم المؤلفة باللون الأسود؟ وسيتذكر المرء عبارة سارتر الشهيرة: «الآخرون هم الجحيم»، وما إن يتصفح القارئ الرواية حتى يقرأ العبارة التي تعرفها المؤلفة وتصدر بها روايتها، وربما تساءل المرء: لم لم يكن اللون الأسود، حتى يتطابق الدال مع المدلول في عبارة سارتر، وسيعيد المرء نفسه السؤال ثانية بعد أن ينتهي من قراءة الرواية، فالآخرون للساردة/ البطلة كانوا فعلاً جميعاً. وهذا يؤكد مقولة سارتر، ويجعل من تصدير الرواية بها تصديراً موفقاً، وتبني الكاتبة له ليس عبثاً.

ان الآخرين فعلوا بالساردة ما جعلوا منها كائناً مسخاً مشوهاً لا يحيا حياة طبيعية، كائناً جنسياً شاذاً، يمارس حياة لا يرضاها، ويختار في نهاية الرواية الطبيعي ويرضى عنه، ويقرف من الشذوذ وغير الطبيعي الذي لم يكن له يد فيه. تنتهي الرواية بالمقطعين ٢٤ و ٢٥، وتكون العلاقة في الرابع والعشرين شاذة، خلافاً لها في الخامس والعشرين حيث تكون طبيعية. تقرف الساردة/ البطلة من العلاقة المثلية، علاقة أنثى مع أنثى، وترتاح للعلاقة الطبيعية، على الرغم من عدم شرعيتها، لأنها علاقة أنثى مع ذكر.

وحين يقرأ المرء الصفحات الأولى الكثيرة من الرواية يتساءل: لماذا «الآخرون» وليس «الأخريات»، بخاصة أن العلاقة يغلب عليها الطابع المثلي؟ وسيكتشف القارئ، ان الساردة لا تقصر علاقتها مع أخريات، اذ تكون لها علاقة مع ذكور، وكلمة «الآخرون» تشمل الأخريات والآخرين، وسيعرف القارئ، لماذا اختارت المؤلفة كلمة: «الآخرون».

«الآخرون هم الجحيم» قال (سارتر)، وقد كان أكثرهم للبطلة، كذلك، إلا عمر الذي ترضى عن علاقتها به، وتبادر اليها، وتعطيه نفسها. كأنه الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، وربما يبدو تحديد علاقة الأنا الساردة/ البطلة بالآخرين امراً مجدياً، لملاحظة العدد الكبير الذي كان جحيما لها، ولن أفعل ذلك هنا، فلربما ينجز هذا دارس آخر، ويتتبع علاقة الساردة بأمها وبأخيها حسن وبِ ضيّ وبمدرسة الرياضيات وبدارين، وبخالة الساردة فاطمة، وبالمجتمع ككل، بسنته وشيعته. الساردة الشيعية تحب سنيا، ولكنه يذكر على مسمعها ما يقوله السنة في الشيعة، وهكذا سيكون الطرف الأول آخر للطرف الثاني.

والملاحظ في هذه الرواية، وفي رواية رجاء الصانع ايضاً، ان الروائيتين تختاران بطلين مستواهما الثقافي متميز وذو توجه غربي. تحضر اللغة الانجليزية في الروايتين على لسان الشخصيات حضوراً لافتاً، ما يجعل الشخصيات تعاني من عقدة العربيزي، وان كانت رجاء الصانع حاولت ان تبرر هذا الاكثار من العبارات الانجليزية. وتحضر ايضاً الاشارات الى أفلام ومسلسلات انجليزية، ما يجعل من لا يتابعها من القراء يتساءل ان كان هذا يشكل عبئاً على القارئ، وعلى الرواية ايضاً.

وسيختلف المستوى اللغوي في الروايتين الى حد ما، فرواية الحرز تكاد تخلو من العامية السعودية التي حفلت بها رواية الصانع، لدرجة أنها كانت عبئاً آخر على القارئ، وإن المحت الكاتبة الى طريقة نطق بعض الحروف في اللهجة السعودية. لكن ما لا شك فيه ان الكاتبات السعوديات انجزن روايات جريئة ممتعة، لا أدري كيف استقبلها المجتمع السعودي.

ماهي صورة القدس في مخيلتك؟

مقدمة للمشروع الفني "القدس في المنفى"

ستيف سابيلا

شهدت القدس عدة احتلالات عبر تاريخها، ولكنها لم تشهد مثيلاً لما جرى في الثمانية وخمسين عاماً الماضية من حرمان لأهلها من الوصول إليها. ومع بناء جدار الفصل من حولها وداخلها، فقد أصبحت القدس نفسها مدينة ضائعة ومعزولة.

قبل سنوات، كتب فنان القدس الكبير كمال بُلاطة مقالة عن تجربتي الفنية أشار فيها إلى أنني ورغم معيشتي في القدس «فنان منفي»؛ وهي حقيقة كنت أعيشها وأسهو عنها. أما اليوم فإني أُدرك أن القدس كلها أصبحت مدينة «في المنفى».

للقدس معان خاصة لدى الفلسطينيين، وعند سؤال كل واحد منا، يقيناً سنعثر على أكثر من توصيف للمدينة؛ فللذين لا يستطيعون زيارتها، أو الذين تُقيّد زيارتهم بإقامة سياحية تفرضها قيود الاحتلال، أو للذين حرموا من حق العودة إليها؛ لهؤلاء جميعاً، كما أعتقد، صور ما انفكت تسكن مخيلاتهم. وبمرور الوقت أصبحت هذه المخيلات أفكاراً معلقة ومشحونة بالانفعالات، وظلّت تكافح للخروج إلى الضوء والواقع، رغم حقيقة أن هذا الواقع مقيّد ومحتل.

ومن هنا، نود تحرير هذه المخيلات والأفكار، وتحويلها إلى صور بصرية؛ من أجل خلق صور فوتوغرافية من الوصف المقدم لتلك الصور «الذهنية» المختلفة للقدس، حسبما ستصل إليّ من فلسطينيين من كل العالم. إن توصيفاتهم لصورهم سوف تمنحني الفرصة لاكتشاف القدس ومعايشتها بطريقة جديدة. سوف تعمل المخيلة كبعد إضافي وغير مقيد، حيث ستكون الجناح الذي سيحمل تطلعات فلسطينيي العالم لكل زاوية من زوايا القدس لـ «تحريرها» بالمخيلة. ستكون تفاعل مخيلات، مخيلتي كفنان منفيّ داخل المكان ومخيلات منفيين خارج المكان؛ حيث لا تستطيع الجدران أن تمنع مخيلتنا الجمعية من الوصول للقدس متجاوزة الجدران والحواجز.

نأمل أن هذه المحاولة سوف تستثير الأفكار والمشاعر؛ ليتم تقديمها في النتيجة النهائية ككتاب فنّي تحت عنوان «القدس في المنفى ـ ذكريات مجسّدة» يتولى تحريره الشاعر نجوان درويش، الذي طالما جمعتني وإياه أسئلة الفن والهوية والحياة في منفانا المشترك في القدس. الكتاب الذي نأمل أن يتضمن شهادات ونصوصاً قيّمة عن القدس وعن موضوعتي الانتماء والوطن، من بينها كتابات لأسماء فلسطينية من فنانين ومفكّرين. (بالإضافة للمشاركات التي ستردنا من أصحابها عبر البريد الإلكتروني
participate@jerusalem-in-exile.net

والتي نسألهم فيها إرسال وصف أول صورة أو مشهد يتبادر إلى أذهانهم بمجرد ذكر اسم القدس). ونأمل في النهاية أن يؤدي هذا كله إلى تحريك وإخصاب صورة القدس في المخيلة الجمعية الفلسطينية.

إن هذه التجربة في تجلّي الكلمات إلى صور، والمخيلات إلى وقائع ملموسة، ستخلق في النهاية، فنّاً يحتفل بالولادة والولادة من جديد؛ فنّاً بإمكانه أن يحيا وأن يتجاوز الحدود.

هذه دعوة مفتوحة لكل «الممنوعين» عن القدس للمشاركة:
www.jerusalem-in-exile.net

القدس في المنفى

تصوير: ستيف سابيلا

كيف نرى القدس اليوم؟

«القدس في المنفى»– مشروع فنّي يبحث في الصورة البصرية لمدينة القدس في المخيلة الجمعية؛ عبر سؤال الفلسطينيين في كل مكان – سواء في الشتات أو في الوطن المحتل من الذين يمنعون من وصولها– عن الصورة الذهنية للقدس في مخيلاتهم؛ وبسؤال بسيط: ما هي أول صورة تخطر في ذهنك عند ذكر اسم القدس؟ المشروع مفتوح لكل الممنوعين من زيارة القدس، والمشاركة سهلة ولا تستدعي أكثر من إرسال وصف صورة القدس في مخيلتك إلى البريد الالكتروني لمشروع القدس في المنفى: www.jerusalem-in-exile.net، حيث تنشر جميع المشاركات عليه بعد فترة قصيرة من إرسالها.

الهدف الفني للمشروع هو تجسيد هذه الصور الذهنية وتحويلها إلى صور فوتوغرافية سيقوم الفنان ستيف سابيلا بالتقاطها من داخل القدس.

رؤى جانبية تنشر جزءاً من المشاركات التي وصلت «القدس في المنفى» من رام الله، وخصوصاً مشاركات الشباب الذين يمنعهم الاحتلال من وصول القدس، وبعضها لم يدخل القدس في حياته. وهذه فرصة لتأمل تحولات صورة القدس لدى الأجيال الفلسطينية الجديدة. رؤى جانبية ستواصل نشر مشاركات من «القدس في المنفى» في أعدادها القادمة.

موقع القدس في المنفى:
www.jerusalem-in-exile.net

ما هي صورة القدس في مخيلتك؟

معلّقة من اللامتناهي

*منذر جوابرة

مشهد لمبان عتيقة، وحجارة بأحجام متنوعة وملامس مختلفة. أبواب خشبية لمداخل غريبة تفصلك عن الوجود، تطير بك مع رائحة البخور والبهارات إلى اللامكان.

كنت كلما افتقدت المعنى والإحساس بالوجود، أصير بالقدس متحسسا لملامحي وكل ما يرتبط بالوجود. وجوه لأشخاص تبرقك بابتسامة كلما نظرت إليها.

تدخل السوق، ويهيأ لك بأنه معلّقة من اللامتناهي، «دناديش» تملأ المكان، وأشياء مزخرفة وتاريخ حافل بالتجدد. حنين إلى المكان الذي لا يشبه شيئا.. يذكرك بكل مخلوقات الأرض.

شوارع طويلة.. مسقوفة من حجارة قديمة، وبعض الاضاءات الساقطة من السماء، مخترقة التشققات التاريخية لتشارك الناس حلمهم وظلهم، وتسقط على بعض الأبواب الخشبية وحجارة المباني، لتتحول الألوان البنية المائلة للاخضرار إلى اصفر مشع، ومشاهد عديدة لأشخاص جالسين على كراس خشبية ونراجيل متعددة الألوان والأحجام تداعب مخيلتهم وأفكارهم..

نكات... يتخللها قهقهة لشخص ما، وآخر يدعو جاره لمشاركته فطوره بقليل من الفول والزيت والبصل. كل شيء هناك يأخذ شكل الحميمية، ويأخذ شكل الجسد المضموم على نفسه.

مشاهد أتمنى أن أبقى منتمياً إليها... وأن لا يكسرها واقع المحتل الذي كسر وصولي إلى القدس مرة أخرى.

* فنان تشكيلي من مواليد 1976 بمخيم العروب، لعائلة لجأت عام 1948 من قرية عراق المنشية. يعيش الآن في رام الله.

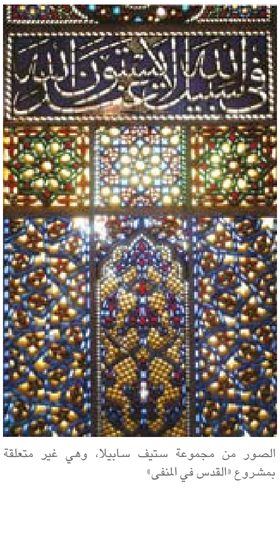
الصور من مجموعة ستيف سابيلا، وهي غير متعلقة بمشروع «القدس في المنفى»

صورة القدس من رام اللّه!

«أزقة مظلمة في الليل وهادئة. شباب يجلسون على المقاهي ويلعبون «شدّه» وينرجلون»

رامز فواضلة، من مواليد قرية عابود/رام الله 1986. لم يزر القدس بتاتاً

«القناطر في طريق الآلام. محلات بيع الأشرطة في السوق. السواد والثقب الذي يدخل منه الضوء في سقف باب العامود. سوق العتمة»

سامر جبريل، من مواليد رام الله. آخر زيارة للقدس عام 2001.

«أناس تركض وراء لقمة عيشها. مشاجرات وشتائم بين بائعي البسطات. حشاشون ومدمنو مخدرات يهيمون على وجوههم في الطرق»

بشارة شمالة، من مواليد قرية جفنا 1986. آخر زيارة للقدس عام 2006

«صبايا جميلات يتسوقن وجنود يتحققون من الهويات ويسجلون أرقامها»

محمد طليب، من مواليد دير بزيع 1988. آخر زيارة للقدس عام 2002

«إختناق بشري مثل يوم الحشر في أيام الجمع والأعياد. جنود على السور. وبسطات على درجات باب العامود»

محمد أبو سعيد، من مواليد رام الله 1986. آخر زيارة للقدس عام 2006

«بائعو السمسم على باب العامود. محلات لبيع الأشرطة والأغاني وأخرى لبيع عطور الشيوخ. عربات لنقل البضائع وسائقوها يصيحون في وجوه المارة (أوعا أوعا)»

هبة مصطفى، من مواليد مخماس/الرام 1986. آخر زيارة للقدس عام 2005

«عربات لتحميل البضائع تشق طريقها وسط الازدحام.أجانب شقر يلتقطون صور بكاميراتهم لأناس مسرعة الى أشغالها. أطفال صغار يبكون في الطريق وسط الناس بعد أن ضاعوا عن أمهاتهم»

لؤي جابر، من مواليد رام الله 1986. آخر زيارة للقدس عام 2006

« بسطات لبيع «الصبر» على الأرصفة، وأخرى لبيع الخضار والفواكه. جنود يصرخون»

أحمد خواجة، من مواليد قرية نعلين/رام الله 1987، أصل العائلة من ظهرية 48، آخر زيارة للقدس عام 2004

«حاخام يمشي بخوف وسط العرب في باب العامود. مطاعم فلافل. أحجارة قديمة. أجناس مختلفة»

جاك جاسر، من مواليد بيرزيت 1987. آخر زيارة للقدس عام 2004

«سوق مزدحم ومعتم ومليء بالخزف والتحف»

نانسي كراجة، من مواليد قرية صفا\رام الله 1987. آخر زيارة للقدس عام 1999

«رجل مسن يمسك قنينة بجانب شجرة ويفرغ فيها بوله. المراحيض العامة في سوق البلدة القديمة. باصات قديمة تنتظر ركابها. جنود على الأحصنة يقفون وسط الشارع متأهبين»

سامي حرز الله، من مواليد دير بزيع/رام الله 1985. آخر زيارة للقدس 2004

«أقواس البلدة القديمة. تركتورات لنقل الزبالة. أسواق مزدحمة وأسوار عالية»

كفاح قطيري، من مواليد قرية عطارة 1985، آخر زيارة للقدس 1997

WASHINGTON REPORT ON MIDDLE EAST AFFAIRS

Washington Report on Middle East Affairs, December 2007, page 55

Music & Arts

“Jerusalem in Exile”—An Invitation to Palestinians

Steve Sabella’s “Old City of Jerusalem” (Courtesy Jerusalem in Exile).

THE “JERUSALEM in Exile” project is searching for the mental image of Jerusalem that exists in the minds of the Palestinian people in the Diaspora. (The Diaspora now seems to include Palestinians in Palestine, who are barred from traveling to Jerusalem.) This mental image will be later transformed into a photographic image.

The project seeks to create a new perception of Jerusalem—liberating it from clichés and slogans, and reconstructing a relationship to it that is more alive, real and intimate. Through artistic means, the new images of Jerusalem will be replenished and charged with ways that transcend the forced reality on the ground.

“Jerusalem in Exile” was initiated by the Palestinian artist Steve Sabella, who is executing it along with poet Najwan Darwish. In this project, Palestinians can share and explore different views and experiences of Jerusalem. Sabella writes that “Jerusalem needs visual liberation. This can only be achieved if a new dimension is added to the photographs. This dimension exists in us—deep in the imagination. Reaching that dimension requires a deep look, a journey into the minds of many people; where they will all unite to ‘rebuild’ and ‘reconstruct’ Jerusalem.”

It is interesting to see how a Palestinian boy or girl from Brazil, for example, who has never seen Jerusalem, acquires that mental image. His or her image of Jerusalem is developed through media, books or through narratives from parents or grandparents. This is an indication that occupation cannot annul the memories of Jerusalem nor can changing facts on the ground nor forcing different narratives. It is not the stones that make the city live—it is the people who remember it.

Palestinians from all over the world are encouraged to take a few minutes to visit the Web site <www.jerusalem-in-exile.net> (the Web site exists in five languages); and check out the world map where one can see and read different images.

Check which countries are not lit up and if you are now living in these countries, send your mental image in order to light it. If the country is already lit, also feel free to send your mental image, which will be added to the Web site. “It is not simply about lighting the whole world, but also about each and every one of you,” according to the initiators of the jerusalem in exile.

—Courtesy Jerusalem in Exile

«القدس في المنفى».. الصور قبل أن تطيرا

طارق حمدان- عمّان

١

«القدس في المنفى»!

إذن، ليس الإنسان وحده المعرّض للنفي، بل المدن أيضاً، هذا ما يحاول مشروع «القدس في المنفى» قوله، من خلال استفزاز الأذهان، الصور، الكلمات، المخيلة، الذكريات.

من منّا لم يتخيّل القدس؟ ومن منا رآها؟ وكم من الصور تقفز إلى أذهاننا عند مصادفة اسمها أو سماعه في سياق ما. دعوة لكتابة الصورة، صورة مدينة منفية، نراها أحياناً في أحلامنا، في شاشة التلفزيون، في الكتب، في الأصوات. فكرة أن تكتب الصورة تشبه كثيراً أن تلتقطها بالكاميرا. وهنا توثيق للحكايات قبل أن تطير، فالحكايات كأصحابها كثيراً ما تطير في النهاية!

٢

«القدس في المنفى» مشروع فنّي تقوم فكرته على إسقاط مفهوم المنفى على المكان، وهو يعلن ببساطة أن القدس «مدينة منفية»، تماماً مثل أهلها الفلسطينيين والعرب الممنوعين من الوصول إليها أو حتى مجرد «زيارتها». وبما أن الفن اليوم صار مرتبطاً بالمفاهيم والبحث، فمشروع القدس يهدف إلى «فحص صورة القدس الرمزية وإخراجها من بلادة الشعار إلى ديناميكية الحياة وأسئلة الفن، لتجديد هذه الصورة وشحنها بعناصر ممانعة لا تطويها التحولات التي يتم فرضها على أرض الواقع».

لا تقتصر دعوة المشاركة بـ«القدس في المنفى» على الأفراد الفلسطينيين في الشتات أو في الوطن من الذين لا يستطيعون الوصول إلى القدس ولكنها تشمل العرب الذين يتم منعهم هم أيضاً من وصول القدس.

فيمكننا أن نقرأ على الموقع الالكتروني (www.jerusalem-in-exile.net) مجموعة كبيرة من المشاركات الحميمة التي تلقاها «القدس في المنفى» باللغتين العربية والإنجليزية من عرب من فلسطين والأردن والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وهولندا والبحرين والمغرب والسعودية والإمارات العربية. كما نجد أن دولاً أخرى لم تصل منها مشاركات بعد وما زالت خارطة دول العالم على صفحة المشروع تنتظر أن تضاء.

«القدس في المنفى» يدعو الجميع للمشاركة عبر إرسال وصفهم لصورة القدس في مخيّلاتهم، ليتم تجسيدها في أعمال فنية فوتوغرافية. أما المقصود بالصورة الذهنية فهي «أول صورة تخطر في مخيلة الإنسان بمجرد ذكر اسم القدس، بناء على تجربته الشخصية».

المشاركة في المشروع ما زالت متاحة، ولا تستدعي سوى كتابة وصف لأول صورة تخطر ببالك عن القدس إلى الايميل التالي: participate@jerusalem-in-exile.net حيث ستنشر على الموقع الالكتروني للمشروع، وقد تنشر بعد فترة في كتاب أو معرض فني وقد تحولت أيضاً إلى صورة فوتوغرافية.

قراءة هذه المشاركات- وأكثرها من الشباب- تشبه رحلة في صورة القدس وقصص المنفيين وذكرياتهم وتوقهم للعودة، وخصوصاً أن سنة ٢٠٠٨ تصادف الذكرى الستين للنكبة وبداية عزل القدس عن محيطها العربي.

الفنان ستيف سابيلا سيحول الصور الذهنية التي تصل «القدس في المنفى» إلى لوحات فوتوغرافية، وبعد ذلك ستكون بحسب سابيلا «جزءاً من معرض عالمي حول صورة القدس، وسيتم جمعها في كتاب فني وربما عدة منشورات... لكن ما يهمنا الآن هو أن نتلقى مشاركات من كل إنسان لا يستطيع وصول القدس لأنها محتلة».

فكرة مشروع «القدس في المنفى» جاءت من الفنان ستيف سابيلا وينفذها مع الشاعر نجوان درويش من داخل القدس، والمشروع يثير الأسئلة حول «صورة القدس»، ويسعى

صور موضوع "القدس في المنفى": ستيف سابيلا، فلسطين

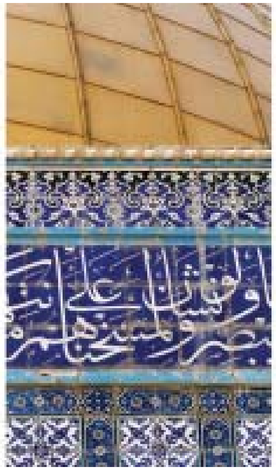

لأن يكون بؤرة تبادل أفكار وتواصل بين الفلسطينيين في الشتات، وأيضاً العرب، حول صورة القدس ورمزيتها.

من جهته يقول الشاعر نجوان درويش أن المشروع «رغم كونه بحثاً في العلاقة البصرية مع مدينة القدس وان منطلقاته فنية بالأساس، إلا أنه واع تماماً لدوره كفن في فترة تحرر وطني، وعليه فإنه يسعى لخلق تواصل بين الفلسطينيين في الشتات بأجيالهم المختلفة وأماكن وجودهم المتعددة مع القدس كفكرة جامعة».

يبدو «القدس في المنفى– ذكريات مُجسّدة» مشروعا فنياً فريداً من نوعه، وقد لفت إليه الانتباه منذ إطلاقه عام ٢٠٠٦. فهو من جهة مشروع فني عربي عن القدس المحتلة من قبل مبدعين فلسطينيين موجودين داخل القدس، يواجهون من خلاله عشرات المشاريع الدعائية الإسرائيلية عن المدينة المحتلة التي تحاول نفي الهوية العربية عن القدس، وهو من جهة اخرى مشروع جماعي يتوجه إلى الأفراد الفلسطينيين (والعرب ايضاً) عبر العالم ليرسلوا له صورهم الذهنية للقدس حتى يتم نشرها على الموقع الالكتروني – وهو موقع بخمس لغات عالمية– ليتم في ما بعد تحويلها إلى صور فوتوغرافية فنية.

وكون المشروع يتم على شبكة الانترنت بخمس لغات هي العربية والاسبانية والانجليزية والفرنسية والألمانية فإن ذلك يتيح نقل صورة القدس العربية إلى العالم الذي يتعرض لضخ إعلامي كبير يستعمل الفنون لإظهار صورة القدس كـ«مدينة إسرائيلية»!

سور/سوار

السور سوار، والألف شمعة لإضاءة عتمة السور. في المرة الأولى حين دخلت «القدس القديمة» شبيهاً بقطة ليلية، انكشف الأفقٍ، العربات، المارة، الهواء، الباعة المتجولون. لم يكن هنالك وقت لأحلام يقظة.

السور – الذي كثيراً ما تساءلت عن محتواه– حقيقة تجرّدت من شكلها المحكي، في قصص ما قبل النوم.

كان السور يتطلب خيالا تدرّب على الاستدارة، للإحاطة به.

قصة نوم طفولية، مسيح يغنّي، رماة سهام عائدون من حرب قريبة، صبية صغار يتراكضون حول بائع قصب، سيّاف يعرض بضاعته ولا احد يشتري منه الرياحين.

كل هذا كان في تلك المرة اليتيمة. وفي المرة الثانية عُثر علي كلص ينوي سرقة النظرات والصور. لم أتمكن من الوصول؛ فتدربت على المجيء، ليبقى السوار يسكننا كإله يغني ذاكرته المشرعة، ليظل يسكننا نحن من بداخله في الخارج.

طارق..

ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟

ضربة شمس في الطريق إلى القدس!

صديقي نجوان، في حزيران من عام ١٩٩٧، ركبت في سيارة مرسيدس أجرة من نابلس متجهاً إلى رام الله لأركب أخرى من نفس النوع منطلقة إلى القدس عبر طريق حزمة – عناتا، أي الطريق الالتفافي عن حاجز الرام آنذاك وبكلمة أصح (القدس على اللفة) وبكلمة أدق أكثر (تهريب)، وفي كل مرة كنت أرتكب فيها هذه المغامرة كنت لا أستطيع النوم في الليلة التي قبلها وأنا عادة لا أستطيع النوم وأنا في حالة سفر وبكلمة أدق أنا كائن ليلي قلق ولا أنام بسرعة.

وإذ بالسيارة قطعت بلدة حزمة ومتجهة نحو «عناتا» لأتفاجأ أنا والركاب بطابور من السيارات يقف وينتظر دوره للتفتيش يعني (حاجز عسكري) وبكلمة أدق (حاجز طيَّار)، فلم يكن بوسعي في هذه اللحظة سوى النزول من السيارة والرجوع لأني لا أملك التصريح اللازم لدخول المدينة، وفعلاً نزلت من السيارة وأردت الذهاب الى الاتجاه الآخر من الشارع لأنتظر سيارة آتية من الجهة الأخرى ولكن وقوف بعض الجنود على مستوى النظر الذي سأقف عنده منعني من ذلك، واضطررت أن أجلس عند بعض الصخور الكبيرة الموجودة على جانب الطريق لانتظر على الأقل ذهاب الجنود لأتمكن من الدخول إلى القدس أو الرجوع إلى رام الله، وحينها سرقني النوم ونمت بسرعة واستيقظت بعد ساعة ونصف الساعة من حرارة الشمس الشديدة على رأسي وكانوا حينها قد انصرفوا هم وحاجزهم (الوهمي) وأخذت أول سيارة ذاهبة إلى القدس، وعند باب العامود هممت بالنزول من السيارة وفي تلك اللحظة مثل كل مرة كدت أن أسقط وكأني لا أستطيع الوقوف على أرجلي وهذا من جراء (الشمس) التي ضربتني وأنا نائم، وبكلمة أدق يقولون (أكل ضربة شمس)، والآن تسألني يا صديقي الشاعر ما الصورة الأولى التي تخطر ببالك عن القدس؟ صعب صعب يا صديقي .

انتظر انتظر، تذكرت، الصورة هو أني إلى هذه اللحظة كلما تخطر ببالي هذه المدينة، أو آتى أنا على بالها أحاول أن أتذكر من كان يضربني كلما وصلت إلى هناك.

هاني زعرب، باريس
hanizurob@yahoo.com

موقع مشروع القدس في المنفى:
www.jerusalem-in-exile.net